الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ: ١١ ابريل ٢٠٠٣

أرض الرافدين في الفكر الديني الإسرائيلي:

على العرب أن ينقذوا أهل العراق

د. محمد أدريس
أداب طنطا

دائماً ما اقول ان وراء كل كارثة في التاريخ اصبعاً يهودية

واحدث العراق والغزو الأمريكي - البريطاني - الصهيوني لأرض الرافدين، نموذج جديد علي صدق مقولتي، وأمل من الصهاينة العرب الا يتمادوا في رفض مبدأ «المؤامرة» وليأخذوه مأخذ الجد ولو لمرة واحدة، كما أرجو لهؤلاء ايضاً ان يحيدوا النظر في مقولة «أهل الكتاب» إذ لا ينطبق هذا المصطلح الاسلامي علي يهود اليوم، ولا علي نصاري الغرب.

يؤكد كولن باول وجود هدف يهودي صهيوني وراء غزو بلاده للعراق في خطابه امام منظمة «ايباك» الصهيونية وهذا حديث علني غير سري، قال فيه «ان حماية اسرائيل وأمن اسرائيل كانت من اهم اهداف الغزو الأنجلو أمريكي للعراق».

ربما كانت هذه الحقيقة غير خافية علي احد الا سذج العالم العربي - وما اكثرهم - لكن الحقيقة الخافية تماماً علي الجميع، هي ان الغزو الأنجلو - أمريكي الانجيلي، انما يهدف الي تحقيق - لا حماية أسرائيل وأمنها وحسب، بل يهدف كذلك الي تحقيق «حلم اسرائيل» التوراتي، «ووعد الله اسرائيل» لشعبه الضال، بارض تفيض لبناً وعسلاً - وهي إشارة لما في هذه الأرض من ثروات - تمتد من النيل الي الفرات.

جاء في سفر التكوين من الكتاب المقدس عند يوش وباول ورامسفيلد:

«في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام «ابراهيم» ميثاقاً قائلاً: لنسلك اعطي هذه الأرض من نهر مصر الي النهر الكبير نهر الفرات» ١٥/١٨.

وتتمثل بابل - أي العراق - مكانة بارزة - في التراث الديني اليهودي، ويكفي ان مدينة «بابل» العراقية كانت «حسب رواية سفر التكوين ١١/١-٩» مسرحاً لعملية مواجهة وتحد بين الرب والبشر.

وحتي نبرز مكانة بابل - العراق - في الفكر الديني اليهودي، علينا ان نعود الي التاريخ القديم لنبحث عن بداية العلاقة اليهودية ببابل والعراق وهي علاقة ترجع الي عهد الإمبراطورية الأشورية الأخيرة والذي دام ثلاثة قرون كاملة «٩١١ - ٦١٢ق.م» وذلك في أعقاب عدة حملات اشورية قاموا بها علي فلسطين وحرروها من اليهود ونقلوا من فيها الي شمال العراق في اماكن جبلية نائية، راحلوا محلهم اقواماً من مختلف انحاء الامبراطورية الأشورية.

ولما سقطت نينوي عاصمة الأشوريين عام ٦١٢ ق. م انتهي دور الامبراطورية الأشورية، واقتسمت الامبراطوريات الأخري ممتلكاتها وكانت العراق وسوريا من نصيب الكلدانيين الذين اسسوا الدولة الكلدانية البابلية في بابل «جنوب العراق» والتي استمرت من عام ٦١٢ - ٥٣٩ق. م وكان اهم اعمالها القضاء علي مملكة يهوذا في فلسطين وسبي يهودها الي بابل علي يد نبوخذ نصر الثاني عام ٥٨٧ ق. م.

واستمر الوجود اليهودي في بابل حتي بعد سقوط الدولة الكلدانية علي ايدي الفرس وأعادة اليهود الي فلسطين اذ رفض الكثيرون العودة، وقامت بابل - ولزمن طويل - مقام ما يسمي «بارض اسرائيل» كما اصبحت في عصر التشرد الفوجه الديني والروحاني لليهود لينما كانوا ولعصور متوالية وذلك عن طريق مدارسها العلمية الشهيرة في نهر دعه وصورا وبومبادبتا، وأصبحت قبور الأنبياء اليهود مثل حزقيال وناحوم ودانيال وعزرا وعوفديا وعزرا الكاتب وغيرهم اماكن مقدسة يحج اليها اليهود من كل مكان.

كما تمتع اليهود تحت الخلافة الاسلامية العثمانية بما لم يتمتع به يهود أي بقعة اخري من ارجاء العالم الذي تشتت اليهود فيه وتعرضوا لسائر صنوف الهوان والاضطهاد اذ كانت لهم مدارسهم الخاصة ومؤسساتهم الخيرية واحتكروا كثيراً من الصناعات ولعبوا دورهم المعتاد في مجال المال والاقتصاد وسجلت كتابات اليهود انفسهم اروع صفحات التسامح الاسلامي معهم، حتي كان النشاط الصهيوني المحظور في أعقاب الحرب العالمية الأولي، وحتي كان وعد بلفور، والانتداب البريطاني الكفهن الذي يحاول تكرار مرة الاستعماري في هذا الغزو الأنجلو - أمريكاني.

ومن الطبيعي ان يكون لقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، ثم لقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ الأثر في توتر العلاقات بين العراقيين واليهود وكانت الصفقة المشبوهة بين الوكالة اليهودية وحكومة نوري السعيد وصدق البرلمان العراقي في ١٩٥٠/٣/٩ علي قانون يقضي بالسماح لكل يهود العراق بالهجرة - إن أرادوا - بشرط التنازل عن الجنسية العراقية وعن كافة ممتلكاتهم.

لقد كانت الهجرة الجماعية ليهود العراق عام ١٩٥٠ نتيجة عوامل طرد اهلتها ملابسات العصر علي العراق وعوامل جذب من قبل اسرائيل التي راحت تمني يهود العراق بالأرض الموعودة، وتمت الهجرة بالفعل لتجتث جذور هذه المجموعة اليهودية العراقية التي يمتد وجودها الي مئات السنين قبل الميلاد. ولملحت اسرائيل في اقناع هذه الجموع بانهم معرضون للابادة من قبل العراقيين وأن «أرض الآباء والأجداد» تفتح لهم ذراعيها بكل ترحاب، ولم يكتشف هؤلاء المهاجرون تلك الخدعة الا بعد ان وصلوا بالفعل الي اسرائيل لتبدأ رحلة المعاناة التي لم تنته حتي يومنا هذا، وليزداد حقد المهاجرين علي من كانوا وراء هذه الخديعة وليظل اعين الكثيرين منهم تتطلع الي العودة مرة اخري الي ارض الآباء الحقيقية الي أرض الرافدين الي بابل الي العراق.

وبناء علي هذا العرض الموجز لعلاقة اليهود بارض العراق قديماً وحديثاً يمكننا ان نفسر الاهتمام اليهودي بالسيطرة والهيمنة علي العراق - بانفسهم او علي أيدي انصارهم من الانجيليين المؤمنين بالوعد الالهي بالأرض الواقعة من النيل الي الفرات - بما يلي:

أولاً: ان السيطرة علي العراق جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية اذ فيها تحقيق لوعد الرب الوارد في النصوص المقدسة.

ثانياً: تمثل العراق بؤرة الدين اليهودي الوضعي اذ في بابل وضع التلمود البابلي كتاب الشريعة المقدس، والذي تفوق قدلسته عند معظم اليهود قداسة التوراة.

ثالثاً: مكانة بابل - العراق - عند حاخامات اليهود وكيف انها تمثل الأرض الأم لبني اسرائيل علي نحو ما قال الحاخام يوحنان بار نفاحة.

رابعاً: روح الانتقام من الشعب العراقي الحديث ومن أحفاد نبوخذ نصر الذي نفي آباءهم في القديم وللدور الذي قامت به حكومة نوري السعيد - في العصر الحديث - حين تواطأت مع الحركة الصهيونية، وتم تهجير ما يقرب من مائة وعشرين الف يهودي دفعة واحدة عام ٥٠ - ١٩٥١ بعد ان تم تجريدهم من ممتلكاتهم.

خامساً: ما تمثله العراق من قوة عربية تشكل عائقاً امام تحقيق الأهداف الصهيونية والاستعمارية في المنطقة كلها وبخاصة انها من الدول العربية والاسلامية القليلة التي تسعي لأن تصبح قوة عسكرية ذات وزن في المنطقة.

سادساً: ما تضمه العراق من ثروات طبيعية تهم اسرائيل واليهود اولاً كانياء العلبة من دجلة والفرات وتهم اسرائيل والعالم الاستعماري الغربي ثانياً كالبترول والموارد الطبيعية الأخري.

لهذه الأسباب كلها تستحق العراق ان يضحي بوش وبلير وازنار بمستقبلهم السياسي من اجلها وان يدفعوا بفلذات اكبادهم وشباب بلادهم في أتون الحرب بينما وقف الاسرائيليون يتفرجون علي القتلي ويمتعون اعينهم بمنظر الدماء ومشاهد الدمار وهي قضية تضاف الي ما سبق اذ تحقق جثث القتلي ودماء الجراحي راحة نفسية لكل يهودي وهذا ما اكدته التوراة لنا حيث جاء فيها عن شعب اسرائيل انه «شعب يقوم كلبؤة ويرتفع كأسد لا ينام حتي يأكل فريسة ويشرب دم قتلي» سفر العدد ٢٣/٢٤.

فهل يسمح العرب والمسلمون ان يطعموا اليهود اجساد اهل العراق وان يقدموا لهؤلاء الأوغاد كئوساً مملوءة بدم العراقيين؟!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية